الأسلوب والأسلوبية

رأينا في الفصل السابق أن الأسلوبية هي علم الأسلوب، ولهذا فلا ضير إن تم ذكر أحدهما دون الآخر، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فإن الفرق ناجم عن ترجمة المصطلح الأجنبي " la stylistique" فقط.

ولهذا ينبغي علينا أن نتكلم عن أهم المبادئ التي بنت عليها الدراسات الأسلوبية دعائمها،وحققت مشروعية قيامها،حتى تكون تلك المبادئ بمثابة المنطلقات الحقيقية المعتمدة في أي دراسة أسلوبية.والتي يمكن حصرها فيما يلي:

1 : مبادئ الأسلوبية :وهو ما يعبر عنه بمحددات الأسلوب:

لقد عدت الأسلوبيات فرعا من فروع اللسانيات؛ كونهاقد بنيت وفق نظام يختلف عن الأنظمة الأخرى، ولهذا فقد حاول الأسلوبيون باختلاف توجهاتهم وتعدد آرائهم البحث عن أسس التي يمكن الاطمئنان إليها لتمييز الأسلوب الأدبي عن غيره من الأساليب وهي:

أ–الاختيار: ويقصد به العملية التي يقوم بها المبدع عندما يستخدم لفظة من بين العديد من البدائل الموجودة في معجمه؛ فاستخدام هذه اللفظة من بين

سائر الألفاظ هو ما يسمى " اختيارا" .وقد يسمى "استبدالا" ؛أي أنه استبدال بالكلمة القريبة منها غيرها لمناسبتها للمقام والموقف 1.

وهو العلامة الفارقة،فالعملية الإبداعية تقوم برمتها على أساس الاختيار؛ولهذا تم تعريف الأسلوب على أساس أنه" محصلة مجموعة من الاختيارات المقصودة بين عناصر اللغة القابلة للتبادل"2 ويتصل بهذا المبدأ شيء آخر يسمى " محور التوزيع " أو " العلاقات التركيبية" ويقصد بها تنظيم وتوزيع الألفاظ المختارة وفق قوانين اللغة وما تسمح به من تصرف؛ إذ إن كل خطاب"لابد أن يتم وفق إسقاط محور الاختيار على محور التركيب"3كما يرى "جاكسبونR.Jakobson

وهذا يعني بصورة بسيطة أن أي مبدع يختار بحرية مطلقة الطريقة التي ينسج بها عمله، وحريته هذه تكون وفق المستويات الآتية:4:

-اختيار الغرض ويمكن أن تتعد الأغراض في العمل الإبداعي الواحد.

-اختيار الموضوع الذي يود المبدع المساهمة فيه.

---

[1] ينظر : عبد السلام المسدي ،الأسلوب والأسلوبية ص134.

[2] صلاح فضل، علم الأسلوب، مبادئه وإجراءاته، ص116

[3] محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دط، 1984 ، ص 120

[4] ينظر، صلاح فضل، علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، ص117

-اختيار الشفرة" الكود "على مستوى تعدد اللغات.ويدخل ضمنه اختيار كلمة دون غيرها انسجاما مع الموقف أو السياق ، على سبيل المثال اختيار كلمة " استشهد " أكثر انسجاما من " مات" أو " قتل " في مقام المقاومة .

-الاختيار على مستوى الأبنية النحوية الخاضعة لقواعد النحو.حيث يختار الأبنية الأكثر تعبيرا عن المعنى ، أو الأكثر تلاؤما مع القاعدة النحوية ، ومن أمثلة هذا النوع من الاختيار " أساليب القصر " ، " والتقديم والتأخير " ، والذكر والحذف وغيرها .

ب–التركيب:

لقد عد بعض الدارسين التركيب"عصب البحث الأسلوبي"[1] ؛ كونه الأساس الذي يبنى عليه ما اختاره المبدع من وحدات لغوية لتشكيل النص، وبه يحقق الخطاب الأدبي انسجامه وتكامله. وتسبق عملية التركيب عملية الاختيار، ومن التلازم بين العمليتين يتولد الأسلوب..

ولهذا فإن"أي تغيير في بنية التركيب بتقديم أو تأخير أو إضمار أو تعريف أو تنكير ...يأتي استجابة لنسق ويتطلبه السياق"[2]

[1] نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، دار هومه، الجزائر، ج1 ص192

[2] نفسه، ج1 ، ص172

جـ-الانزياح: :ويسمى " العدول " أو"الانحراف" على حد تعبير ابن جني قديما، أو "خيبة الانتظار" كما سماه جاكبسون 1، ولهذا المبدأ أهمية خاصة في علم الأسلوب حتى سماه بعضهم " علم الانحرافات " 2.

وهذا المبدأ ينطلق من تصنيف اللغة إلى نوعين:

- لغة مثالية معيارية نمطية متعارف عليها.
- ولغة إبداعية مخالفة للنمط المعياري السابق.

فالعدول يعني خروج الكاتب عن المعايير اللغوية بما يسمح به نظام اللغة، فيتصرف بقواعد النحو وفق مقتضيات السياق والمقام ، بشرط أن يحافظ على صحة الإعراب وما يقتضيه نظام اللغة.

ولهذا فقد عده الكثير " جوهر العملية الإبداعية، بل أداة مهمة من أدوات الاتصال اللغوي الدلالي"3 التي تحدث ما يسمى عند" رولان بارت .R Barthes بلذة النص .سببها" خرق للقواعد حينا ولجوء إلى ما ندر من الصيغ حينا آخر"4

---

[1] ينظر :نفسه ج1ص158..

[2] شكري عياد ،مدخل إلى علم الأسلوب ، دار العلوم، ط1 ، 1402،ص37.

[3] يوسف أبو العدوس، الأسلوبية الرؤية والتطبيق، دار المسيرة،الأردن ص185

[4] عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، ص99

ونتيجة لذلك قسم الأسلوبيون اللغة إلى مستويين[1]

المستوى العادي :وهو الذي تسيطر فيه الوظيفة الإبلاغية على أساليب الخطاب.

المستوى الإبداعي :وهو المستوى الذي يتم فيه تجاوز المألوف من اللغة، وانتهاك الأساليب الجاهزة، وشحن الخطاب بطاقات أسلوبية جمالية تحدث فاعليتها في المتلقي.

وقد تم تصنيف الانزياحات وفق خمسة معايير وهي[2]

-تصنيف الانزياحات تبعا لدرجة انتشارها في النص، أو بوصفها انزياحات متموضعة في سياق النص كالاستعارة، أو بوصفها انزياحات شاملة تؤثر في النص بأكمله، كالتكرار الذي يمكن رصد انزياحه طبقا لعمليات إحصائية.

-تصنيف الانزياحات طبقا للقواعد اللغوية، فتكون هناك انحرافات سلبية تتمثل في تخصيص القاعدة العامة، وإيجابية تتمثل في إضافة قيود معينة إلى ما هو قائم بالفعل.... كالقافية مثلا.

-تصنيف الانزياحات بالاعتماد على العلاقة بين القاعدة والنص المزمع تحليله، فيتم التمييز بين انزياحات داخلية، وأخرى خارجية، تتمثل الداخلية في انفصال

[1] ينظر :نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، ج1 ، ص179

[2] ينظر :صلاح فضل، علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، ص210 ،211

وحدة لغوية عن القاعدة المهيمنة على النص، وتتمثل الخارجية في اختلاف أسلوب النص عن القاعدة الموجودة في اللغة المدروسة.

-تصنيف الانزياحات طبقا للمستوى اللغوي الذي تعتمد عليه، فيتم التمييز بين الانزياحات الخطية، والصرفية، والمعجمية، والنحوية، والدلالية.

-تصنيف الانزياحات طبقا لتأثيرها على مبدأي الاختيار والتركيب، فتكون هناك انزياحات تركيبية تتصل بالسلسلة السياقية الخطية للإشارات اللغوية عندما تخرج عن قواعد النظم، وانزياحات استبدالية تخرج عن قواعد اختيار الرموز اللغوية، كوضع المفرد مكان الجميع...

ولا يتولد عن كل انحراف أسلوبي – من منظور الأسلوبيين -إبداع فني، ما لم" تنتظم هذه الانزياحات في علاقاتها بالسياق العام للخطاب"[1] وتفترض مقولة الانزياح– عندهم -وجود مقياس يتحدد به الانزياح وتعرف به درجته، وهذا المقياس عند ريفاتير هو الكلام الجاري على ألسنة الناس في استعمالهم العادي. وأيا كانت الآراء فيما يخص هذا المعيار، أهو ماثل في النص أو خارجه، فإن الانزياحات الدلالية والتركيبية والنحوية تظل أهم سمة من سمات التفرد في الكتابات الأدبية والإبداعية..

د: السياق

[1] نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، ج1 ، ص184

قسم بعض الباحثين السياق أربعة أنواع ، وهي : السياق اللغوي ، السياق العاطفي ، سياق الموقف ، والسياق الثقافي1 . فالسياق اللغوي يعني اختيار الألفاظ المناسبة للسياق ، أما السياق العاطفي فيعني التوافق بين البعد النفسي للكاتب وما يختاره من ألفاظ وأساليب، وأما سياق الموقف فهو المقام أو المناسبة أو الحدث الذي يعبر عنه النص ، وأما السياق الثقافي فهو البيئة الثقافية التي ينتمي إليها المبدع أو المتلقي.

[1] أحمد مختار عمر ،علم الدلالة ، مكتبة دار العروبة ، الكويت ،1982 ص 69